ففي هذه الضَّفَّة - البخيلة المماكسة الناكثة لعهود الله، المتشاكسة في أمر الله - ينتهي أمر اللجاج إلى بقرة منقطعة النظير في كلّ إسرائيل عن بكرتها.

ثم في الضَّفَّة المؤمنة: رجل بارٌّ بأبيه[1]، تاركٌ ربح التجارة حرمة له، تُوهَب له هذه البقرة بعينها جزاءً بما كسب، والضفتان تتلاقيان في هذه الوهبة الأبوية بوهبة ربانية تجعله من أغنى الأغنياء في بني إسرائيل، كما وأن ضرب المقتول ببعضها شهادة معلنة أنه يحيي الموتى وهو على كلِّ شيء قدير.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾:

هنا ﴿نَفْسًا﴾ و«بقرة» هما مؤنثان، فكيف تختص إحداهما بذكورة الضمير ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾؟

علَّ تذكير الضمير الراجع إلى ﴿نَفْسًا﴾ باعتبار أنها القتيل، وليوضِّح أنه

(١) نور الثقلين ١: ٨٧ في عيون الأخبار بسند متصل عن البزنطي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى: إن سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا من قتله؟ قال: ايتوني ببقرة ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البَقَرَة: ٦٧] ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة اجزأتهم ولكن شردوا فشرد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البَقَرَة: ٦٩] ولو أنهم عمدوا إلى بقرة لأجزأتهم ولكن شردوا فشرد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البَقَرَة: ٦٨] فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال: لا أبيعها إلّا بملء مسكها ذهباً فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك فقال: اشتروها فاشتروها وجاؤوا بها فأمر بذبحها ثم أمر أن يضرب الميت بذنبها فلما فعلوا ذلك حيي المقتول وقال: يا رسول الله إن ابن عمي قتلني دون من يدعي عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله فقال لرسول الله موسى بعض أصحابه: إن هذه البقرة لها نبأ فقال: وما هو؟ فقال: إن فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه . . . فقال رسول الله موسى انظروا إلى البرِّ ما يبلغ بأهله!.

المضروب ببعض البقرة وليست هي المضروبة به، ولا سبيل لذلك الإيضاح إلّا تذكير ضمير ﴿نَفْسًا﴾ القتيل.

وهنا عرض لمادة القصة الأصيلة وهي واقع إحياء الموتى، ففي ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ نموذج منه يدل على إمكانية وواقع إحياء الموتى بالأولى، فإذا يَحيى ميت بضرب ميت آخر به، فلئن يحيى بإرجاع الروح إليه أحرى وأولى.

أنتم ﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا﴾ كلٌّ يدرؤه عن نفسه ويلقيه على آخر ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1] بهذه الخارقة البارعة أن تضربوه ببعضها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ البعيد في قياسكم، القريب القريب في قياس الله ﴿يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ على طول الخط، مهما اختلفت الإحياءات هنا وفي الأخرى، ولكنما الإحياء في الأخرى أحرى.

أحرى ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ وهنا الإحياء لم يكن إلّا إخراجاً لما كنتم تكتمون، كواقعة جزئية تهتدون فيها إلى جزاء القاتل بعد ما تعرفون.

وأحرى لأنه أهون من الخلق الأوّل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[2] ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ في قياسكم، إذ ليس في قياس الله لنفسه هين وأهون، فـ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[3] ثم و﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مما يلمح أنهم كانوا في شكٍّ من إحياء الموتى، وكما لا نرى في التوراة الحالية - على طولها - نصوصاً حول

---

(١) ١: ٧٨ - أخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: لو أن رجلاً عمل عملاً في صخرة صماء لا باب فيها ولا كوة خرج عمله إلى الناس كائناً ما كان، وفيه أخرج البيهقي من وجه آخر عن عثمان قال قال رسول الله ﷺ: من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله عليه منها رداء يعرف به.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

المعاد، اللهم إلَّا إشارات، مما يدل على حالة النكران الإسرائيلي - العريقة فيهم - منذ نزلت عليهم التوراة فضلاً عما بعدها، فقد حرَّفوا عن التوراة آيات المعاد فجرَّفوها بجرّافات التجديف والتحريف!

فطالما المسافة بين الموت والحياة هائلة غائلة تُدير الرؤوس، ولكنها في حساب الخالق سهل يسير، ففي ضمن ما يجيب عن سؤالهم يعطفهم إلى واقع إحياء الموتى الذي هم فيه مترددون.

فقد كان بالإمكان الإجابة: أن فلاناً هو القاتل، ولكنهم - حسب طبيعتهم - قد ينكرون تكذيباً لموسى، فليكن القائل هو نفس القتيل حتى يصدقوه شاؤوا أم أبوا.

وكان بالإمكان إحياء القتيل ليشهد شهادته دون هذه الطائلات البليات في قصة البقرة، ولكنهم قد يتشكَّكون في كونها خارقة إلهية بيد موسى الرسول.

وكان بالإمكان إحياءه بأن يَضرب به موسى يده أو عصاه، ولكنه ما كان يفيد كامل الفائِدة: أن يؤمروا بذبح ما كانوا يحترمونه لحدّ العبادة، وأن يشتروها وهم الأنجاس، وأن يضربوه ببعضها فيحيي تدليلاً على إمكانية بروز الحياة بضرب ميت بميت فضلاً عن رجوع الروح الحي إلى البدن الميت! فـ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

أترى أي جزءٍ من جسد البقرة كانت له هذه الفاعلية بإذن الله؟ ﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾ يلغي كل الاختصاصات عن أي جزء منها، فكما «بقرة» كانت طليقة لأوّل مرة، كذلك ﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾ على طول الخط، إذ لم يتزايدوا فيه كما تزايدوا فيها فلم يخرج عن إطلاقه!

فيا لقصة البقرة من آماد بعيدة وآيات غريبة قريبة، لم تك تحصل إلّا بما حصل، ما يحق أن تتسمى بها السورة لهذه البقرة وهؤلاء الأباقرة.

وقيلة القائل - الغيلة على آيات الله البينات - أن ﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ هنا يعني حفظ الدماء التي كانت عُرضة للسفك بسبب الخلاف في: من هو القاتل، إنها مردودة عليه بـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المشيرة إلى ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾، فـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الضرب ﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، ولو لم يكن في ذلك الضرب إحياء القتيل، فكيف عُرف القاتل بذلك الضرب، وما هي الصلة بينه وبين معرفة القاتل لولا إحياء القتيل! ثم ولا إشارة في القصة باحتمال سفك الدماء لو لم يُعرف القاتل!

صحيح أن إبقاء الحياة قد يُسمى إحياءً: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[1] ولكن كيف تُبقى حياة بين المتدارئين في: من قتل القتيل، إلّا بمعرفة القاتل الحقيقي، وكيف يُعرف بـ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾ لولا إحياءه بذلك الضرب، ثم ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ ليس إلّا تعريفاً عملياً بالقاتل، كما و﴿يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ تلميحة بينة أن هناك آية خارقة إلٰهية بها عرف القاتل.

فإنما هي انتفاض الميت مبعوثاً ناطقاً شاهداً فيما ادّارؤوا، على ضربة من بعض جسد لبقرة بكماء مذبوحة، ليس فيها من حياة ولا مادة حياة ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

لا كما يقوله هذا الهارف الخارف، المأول آيات الله المعجزات إلى دعايات متعودات.

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾:

﴿ثُمَّ﴾ بعد هذه الآيات البينات ﴿قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ أكثر مما كانت قاسية بدلاً

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

عن أن تلين لذكر الله ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الإحياء إجابة عن سؤال وإيتاءً لسؤال، كما ﴿بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ التنبيه بكل نُبهة في مختلف المجالات.

أترى الخطاب هنا يختص بالسابقين؟ فما هو ذنب اللّاحقين! ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١]! أم يخص اللّاحقين ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الذي حصل للسابقين عبرة للّاحقين، فـ ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ إذ ﴿أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾[٢]: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٣].

قد يشملهم الخطاب جميعاً، فإنهم سلسلة موصولة على طول التأريخ الإسرائيلي، إنهم تقسى قلوبهم أكثر وأقسى مما كانت من قبل، وآيات الله تترى عليهم لِصق بعضٍ ليلَ نهار، كما ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٤].

﴿ثُمَّ قَسَتْ... فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في القسوة الصلبة الصلتة، لا فحسب ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

وترى ﴿أَوْ﴾ هنا تُضرب عن قسوة الحجارة إلى أشد قسوة؟ وليست قلوبهم - ككلّ - إلّا كالحجارة أو أشدُّ قسوة، فلا مجال للإضراب إلّا ممن يجهل مدى القسوة فيها!

أم هي للإضراب بالنسبة لبعضهم؟ و«كُم» لا تعني البعض، فقلوب الكلّ إما هي كالحجارة أو أشدّ قسوة!.

قد تعني ﴿أَوْ﴾ هنا التقسيم، فقلوب البعض كالحجارة، وقلوب الآخرين أشدّ قسوة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة القصص، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

أم وتعني مختلف الحالات في بعض القلوب، فقد كانت قاسية، ثم اشتدت قساوتها فهي كالحجارة، ثم تشتد فهي أشد قسوة، فكلا الإضراب والتقسيم - إذاً - معنيَّان من «أو» أم وثالث هو الإبهام[١]، وهو - فقط - بالنسبة لمن لا يعرف مدى قساوة القلوب، التي هي كالحجارة أو أشدّ قسوة، ويلحقه رابع هو التشكيك، والأخيران هما في دور واحد!

ودليلاً على ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: تفجر الأنهار من بعض الحجارة، وتشقق البعض بخروج الماء منها، وهبوط البعض من خشية الله!

وهذه القلوب الخاوية المقلوبة لا تتفجر منها أنهار المعرفة، ولا تتشقق بخروج مياهها منها، ولا تهبط من خشية الله، بل هي جافة صلدة صلتة لا تزداد في خِضمِّ الآيات البينات إلّا تصلُّداً وجموداً وجفافاً وخموداً!.

لقد رأوا الحجر انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بما ضرب موسى عصاه، ولم تنفجر قلوبهم بعصا الرسالة الموسوية! ورأوا الجبل اندكَّ بما تجلَّى له ربه، ولم تندكّ جبال قلوبهم بتجلي هذه الرسالة السامية، وجلوات آيات الله البينات، فهي لا تلين بها ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوًى، بل وتزداد طغوى على طغوى! قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة ليست لتلين بذكر الله أيّاً كان وأيّان ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[٢].

نرى أن ﴿مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ كما نرى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

(١) خيّر أبح قسم باو وأبهم واشكك وإضراب بها أيضاً نمي
وفيما يروى عن الإمام الحسين عليه السلام من تفسير الآية ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: ٧٤] أبهم على السامعين ولم يبين لهم كما يقول القائل: أكلت خبزاً أو لحماً، وهو لا يريد به أنه لا أدري. أن يبهم على السامع حتى لا يعلم ماذا أكل وإن كان يعلم أن قد أكل أيهما...

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ فما هي الحجارة التي تهبط من خشية الله وهي لا تعقل ولا تكلَّف بشيءٍ؟

أهي كما قال الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] تحوِّله إلى مَثَل لا واقع له، و﴿لَوْ﴾ تحيل واقعه، فلن ينزل الله على جبل ذكراً: قرآناً وغير قرآن، وهناك الله في اقتسام الجبال يضرب مثل الواقع من الجبال لبيان مدى قساوة هذه القلوب، فليكن هبوطها من خشية الله واقعاً كتفجر الأنهار من بعضها، وخروج الماء من تشقق الأخرى!.

ثم لو كان الهبوط من خشية الله على فرض نزول الوحي عليه لعمّ الجبال كلها كما ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ تعممه لها كلّها، دون ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾!

أم ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ هنا راجعة إلى القلوب لتَقدم ذكرها، ومهما كانت الحجارة أقرب مرجعاً، فالقلوب أنسب وأليق معنى؟ وهو بعيد أدبياً لبعد المرجع، وبعيد معنوياً حيث القلوب تقلَّب ولا تهبط، اللهم إلّا هبوطاً عن علوائِها المقلوب، فتنضبط ذاكرة لله، متذكرة بآيات الله.

هذا ولكن الجبال كجبال هي مثال لقساوة القلوب، وليست القلوب الخاشية الهابطة من خشية الله - وهي القلوب المؤمنة المطمئنة بالله - ليست هي بالتي تناسب ضربها مثلاً لإثبات أن قلوبهم أقسى من الحجارة!.

قد يعني هبوط بعض الجبال من خشية الله، هبوطها الهابط منها بأمر الله تكويناً وهي شاعرة له ومدركة، فـ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2] تعمّم الخشية الشعورية إلى كلّ شيءٍ، فالهابط من الجبال تهبط بخشية الله، كما الثابت منها تثبت بخشية الله، ولا ينافيها الأسباب الطبيعية

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

لهبوطها، فإنها كلها منتهية إلى الله، ولا يعمل أي سبب عمله إلّا بأمر الله و﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[١] فظاهر الخضوع فيها لتدبير الله بآثار الصنعة وإحكام الصنعة لحدّ الهبوط فيما تهبط، تقريع على تلك القلوب المقلوبة غير الخاشية لله.

فحينما الحجر يهبط من خشية الله، لا تهبط قلوب هؤلاء - الأشد قسوة من الحجارة - من خشية الله ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

إنهم خَوَنة في أمانة الله لا يوجد لهم مثيل في الكائنات فـ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢] وآية الأمانة هذه - كما فسرناها في سورتها - تحمل حملة عنيفة على الإنسان الظلوم الجهول في خيانته أمانة العقل والتكليف، فحمل الأمانة يقابل أداءها، فهو خيانتها.

وعلى حدِّ المروي عن سيِّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في تفسير الآية: «يبست قلوبكم معاشر اليهود كالحجارة اليابسة، لا ترشح برطوبة، أي: أنكم لا حَقّ الله تؤدون، ولا لأموالكم تتصدقون، ولا بالمعروف تتكرمون، ولا للضيف تقرون، ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيءٍ من الإنسانية تعاشرون وتواصلون...»[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) نور الثقلين ١: ٩٠ في الخرايج والجرايح روي عن الحسين بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البَقَرَة: ٧٤] - نقلنا تفسير ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ في العدد السابق - ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَرُ﴾، أي قلوبكم في القساوة بحيث لا يجيء منها خير يا يهودي، وفي الحجارة، يتفجر منه الأنهار فيجيء بالخير والنبات لبني آدم ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ أي من الحجارة ﴿لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ دون الأنهار، وقلوبكم لا يجيء منها الكثير من الخير ولا القليل ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ [البَقَرَة: ٧٤] أي من الحجارة أن أقسم الله عليها باسم الله يهبط، وليس في قلوبكم شيء منه ...

فيا ويلاه من قسوة القلوب فـ«ما جفت الدموع إلّا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب»[١] و«لا تطوِّل في الدنيا أملَك فيقسو قلبك والقاسي القلب مني بعيد»[٢].

(١) المصدر ٩٢ في كتاب العلل بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) المصدر في الكافي عن علي بن عيسى رفعه قال: فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام يا موسى . . .

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

لقد كان المسلمون على علم - حسب القرآن - أن اليهود يعرفون القرآن ويعرفون رسول القرآن كما سطرت لهم في التوراة، فكانوا - قبل الهجرة - يأملون أن يؤمنوا لهم، حتى هاجروا وخاب أملهم، وهنا يُطَمئِنهم الله أنهم ليسوا ليؤمنوا لهم بسابق غيِّهم وقساوة قلوبهم، وتحريفهم كلام الله: